بعض منتخبات من
كتاب الالمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام والامور المقضيه فى واقعة الاسكندرية
(سنة ٧٦٧ هـ)

تاليف النويري الاسكندري

الثلاثة المنتخبات الاتي ذكرها فيما بعد أستخرجت من الاوراق رقم ٢٥ ب الى ٢٦ ا و ٧٩ ب الى ٨٠ ا و ٩٤ ا الى ٩٨ ب (مخطوط مكتبة برلين) وقد تلقد عليها فى القسم الافرنجي السابق من هذا البحث.

ا

ذكر المنامات التي رأيت قبل واقعة الاسكندرية ، قال المؤلف غفر الله له ولوالديه وللاقربين اليه ولجميع المسلمين ، اخبرنى الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن صلاح التاجر المصرى قال كنت بالاسكندرية قبل الواقعة بايام قلايل فرأيت فى المنام ان رحبة الجامع الغربى (١) صارت بحرا طافحا واذا بالسماء قد مطرت جمرا يتوقد فشرب الجمر ذلك البحر بكماله وصار الجمر على حاله يتقد ثم مطرت السماء بعد ذلك ماء فاطفي ذلك الجمر فصار فحما اسودا قال فمددت يدى الى فحمة لا تناولها فانقلقت فلقتين الواحدة كبيرة والاخرى صغيرة فتناولت الصغيرة فلولا القيتها سريعا احترقت اصابعى من شدة حرارتها قال فاستيقظت

(١) انظر القسم الافرنجي

من نومى فزعا مما رأت فجرى بعد ذلك وقعة الاسكندرية ، واخبرنى الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد المؤدب قال رأيت فى المنام قبل وقعة الاسكندرية بايام قلايل كان سبابتي (١) احترقتا بالنار فعبر المنام المذكور بان الاسلام يحدث فيه حدثا فحدث أمر القبرسي بالاسكندرية ، واخبرنى الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن احمد التاجر السفار قال كنت فى الاسكندرية فرأيت فى المنام قبل الوقعة بخمسة عشر يوما كانى فى قصر عظيم علي ساحل البحر الملح وجماعة كثيرة من الرجال والنساء خارج القصر وكانهم احسوا بعذاء فصارت النساء يلطمن خدودهن ويقلن واه واه قال فقلت لهن قولوا يارسول الله نحن فى حسك نحن فى جيرتك ثم قال ورأيت طائفة من الفرنج مسلسلين داخلين الاسكندرية وفيهم جنس لهم اذناب كاذناب القرود قال فانتبهت من نومى مذعولا مما رأيت فجرى بعد ذلك وقعة الاسكندرية ، وأخبرنى على بن راشد الحجازى المقيم بالاسكندرية والمدير برقع التجار علي الدواوين يكتبون عليها خطوطهم قال رأيت في المنام قبل الوقعة بنصف شهر نسوة طوال القامات عليهن الميزر البيض فسألت احداهن عنهن فقالت انهن اولاد الانبياء والشهداء والصالحين ضمنهن أبؤهن خارجين بهن من الاسكندرية فقلت ما سبب ذلك قالت ان الاسكندرية مسخوط عليها قال فضربت بيدى الواحدة على الاخرى واذا انا اسمع حس رجال ولا اراهم ثم ان النسوة اختفين عني وكن بشارع (٢) قاعة رماة القرافة ومدرسة البليسى قال فانتبهت من نومى مرعوبا فجرى بعد ذلك وقعة الاسكندرية ، وأخبرنى الشيخ الصالح ريحانى الحبشى وذكر ان له سبع غزوات في الفرنج قال بينما انا نايم بدمشق فى شهر رمضان سنة ست وستين وسبع مايه واذا بقائل يقول قم وامض الي الاسكندرية لتصلي على اهلها قال فانتبهت من نومى وانا متعجب

(١ ـ ٢) انظر القسم الافرنجي

من ذلك فسافرت منها الى القاهرة فاقمت بها أياما وتوجهت الى الاسكندرية في اول المحرم سنة سبع وستين وسبع مايه فلما علمت ان الفرنج طفروا بالاسكندرية احتلطت بهم لمعرفتي بلغتهم بعد ان تزيبت بزيهم وتوصلت الي الملك القبرسي فصرت مع جملة خدمه فاختلست احد مهاميزه الذهب فصار عندى الي ان بعته بثلثماية درهما نقرة ثم قال وكانت الفرنج تستخدم رجال المسلمين في النهب يحملونه لهم وقالوا لهم نعتنكم بعد ذلك فلما فرغ النهب اخذوا سبعين رجلا منهم وربطوهم بالسلاسل في صدرى مركب كان ملقى بالجزيرة واطلقوا فيهم النار فاحترقوا وماتوا شهداء رحمة الله عليهم اجمعين .

— ٢ —

ذكر منام ريوك والد ريير قبل مولد ريير صاحب قبرس لعنهما الله تعالي وصفة فتح الصحابة رضي الله عنهم للاسكندرية ودمياط وغير ذلك من الواردات المستطردات ، حدثني ابو محمد عبد الله بن محمد الاسكندرى عن بعض اسارى المسلمين قال كنت فيما مضى من الزمان اسيرا بقبرس وطالت مدتي في الاسر بها فجلست يوما الى جانب قسيس فسألني عن مصر واخبارها فشرعت اذكر له كثرة جيوشها وعددها وعظم مملكتها ومنعتها وكثرة خيرها وبركتها فقال القسيس حدثني الملك ريوك صاحب هذه الجزيرة انه رأى في منامه قايلا يقول له يخرج من صلبك ولد يظفر بالاسكندرية قال الاسير فتعجبت من قول القسيس وقلت له هذا المنام اضغاث احلام ان صاحب قبرس لا تقدر على الاسكندرية ابدا لحصانتها ومنعتها وكثرة اهلها واسلحتها فقال القسيس هكذا حدثني به الملك وانا ايضا متعجب من ذلك وقد يكون هذا المنام كما ذكرت اضغاث احلام ثم ضرب الدهر ضرباته وصح منام ريوك المذكور وظفر ريير بها في اواخر المحرم سنة سبع وستين وسبع مايه فان كان ريير اللعون فعل بالاسكندرية

ما فعل فقد فعلت المسلمون بنصارى الروم قديما اكثر ما فعل القبرسى اللص بها لان المسلمين ملكوها واقاموا بها المئين من السنين والقبرسى دخلها لصا وخرج منها هربا .

- ٣ -

ذكر السبب الذى حمل صاحب قبرس على غزوة الاسكندرية وغير ذلك من الواردات المستطردات ، وذلك ان الله سبحانه اذا اراد أمرا وقدر تقديرا قدم على ذلك القدر المقضى اسبابا يتوصل الى ذلك المحتوم المقدور الا ترى ان الله سبحانه لما قضى ان الافرنج تظفر بالاسكندرية كيف قدم على ذلك القدر المقضى اسبابا سبعة ، السبب الأول منعة السلطان الصالح ، ان السلطان الصالح صالح (١) بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور (٢) قلاون سلطان الديار المصرية والشامية وغيرها منع دواوين النصرى فى سنة خمس وخمسين وسبع مائة من الديوانة وان احدا منهم لا يكتب بديوان الا ان اسلم ومن بقى على نصرانية يلبس خشن الثياب وان تقصر اكمامهم واذيالهم وتصغر عمايمهم ويركبون الحمر على شق واحد وكذلك ساير النصاري الذميين فامتثل ذلك وكان فعل السلطان ذلك بهم عزة ونصرة لدين الاسلام وان تكون ساير الدواوين فى دولته مسلمين لا كافرين ..... ثم أمر السلطان ان يفعل باليهود كما فعل بالنصارى ان يقوا على يهوديتهم من تصغير العمايم وتقصير الثياب وان تتميز نسوان النصارى بالميزر الزرق ونسوان اليهود بالميزر الصفر ليتميزوا من نسوان المسلمين بذلك فتعبثت باليهود والنصاري عوام المسلمين صاروا يرمونهم من اعلي الحمر بوكزهم لهم ويستسلمونهم بالضرب والاهانة ويتسببون فى كتب

(١) اسم هذا السلطان الملك الصالح صلاح الدين صالح
(٢) فى الاصل : الناصر !

الحجيج عليهم باسلامهم فعلوا ذلك بمصر والقاهرة والاسكندرية فصارت الافرنج بالاسكندرية لما رأو عوام المسلمين فعلوا بالنصارى الذميين ما فعلوه من استسلامهم لهم بالضرب والاهانة خافوا لئلا يرتدوا عن الاسلام اذا سافروا فصاروا يرفعون بضائعهم واثاثهم الي المراكب بسرعة وسافروا اخبروا نصاري الرومانية بما فعلته المسلمون باهل النصرانية فكان ذلك والله اعلم سببا لهيجان القبرسي وطوافه بارض الرومانية وجمعه للصوص اهل ماء المعبودية وحشره بهم الى الاسكندرية ، وسيأتي فيما يرد من هذا الكتاب خبر طوافه وجمعه لزعران النصارى ومساعدة ملوكها له حتي ظفر بالاسكندرية على حين غفلة من جيوش الديار المصرية ان شاء الله تعالى ، السبب الثاني كما قيل والله اعلم ان بطرس صاحب قبرس عفا الله عنا ولى الملك بعد هلاك ابيه ريوك ارسل الى السلطان الملك الناصر حسن يسأله ان يرسم له بالتوجه الى بلد صور بساحل الشام ليجلس علي عمود بها كعادة كل من يملك جزيرة قبرس لانه لا يتم له ملكها بزعمهم الا بالجلوس على ذلك العمود او مكانا مختصا بالجلوس الملك فيه ليتم له بذلك الملك ويصح له نفاذ حكمه فى رعيته فاحتقره السلطان ومنعه الدخول الى بلد صور فكان ذلك والله اعلم سببا لغزوة الاسكندرية ، السبب الثالث انه اتى الى مينة الاسكندرية في شوال سنة خمس وخمسين غرابا فيه كراسلة اى لصوص (١) من الافرنج تشوش مينتها وتخطف ما تقدر علي خطفه فصار الغراب المذكور يدور من مينة الاسكندرية الغربية الى مينتها الشرقية فرأى مركبا اتت من جهة المينة الغربية قدمت الي الاسكندرية من بر التركية فيها تجار المسلمين بمتاجرهم فهاجمها الغراب المذكور وحاربها فحاربته وقاتلته فلم يقدر عليها لعلو سمكها وخروج رماة المسلمين فى القوارب من الساحل لحمايتها منه رموا عليه سهامهم بقصد الجرخ

---

(١) انظر القسم الافرنجي

التي معهم فسلمت منه ودخلت بحر السلسلة ارست بشاطيه بالقرب من الباب الاخضر فصار الغراب المذكور يجول يمينا وشمالا فارسل اليه الامير سيف بلاط نائب السلطان بالاسكندرية باشارة تاج الدين موسي بن الخازن ناظرها قناصلة الفرنج المقيمين بها يستخبرونه عن امره وما سبب جولانه في الميناتين فرجعوا في القارب الذى ركبوه اليهم اخبروهما عنهم انهم يريدون ما يأكلون ويشربون ويرتحلون فارسلا لهم مأكولا وقرب ماء فاخذوا القرب بمائها وكانت نحو الخمسين قربة وكان المأكول خبزا ورمانا وموزا وسمكا وغير ذلك ثم انهم نظروا مركبا قدمت من الشام فوثبوا عليها اخذوها بما فيها من البضايع ورموا رجالها بمينة بوقير ومضوا بها ولم يراعوا حق الاحسان بما طعموا وسقوا فكانوا كما قيل

ان العدو وان ابدي مسالمة اذا رأى فيك يوما فرصة وثبا

وسيأتى فيما يرد من هذا الكتاب خبر زورق المغاربة الذى اخذته الفرنج الفارسة من مينة الاسكندرية بوسقه والمركب الذى اخذته الفرنج ايضا من خارج مينتها فى تواريخها ان شاء الله تعالى ، ولما بلغ السلطان الملك الناصر حسن خبر الغراب المذكور عز عليه ما فعل معه من المأكول والمشروب وقال العدو ينبغي جوعه وعطشه فكيف يطعم ويسقى ليقوى علي اذي المسلمين ثم انه أرسل الامير سيف الدين بكتمر الشهير بالوشاقى الي الاسكندرية كاشفا فحضر ونزل بدار العدل المجاورة لبيت المال وهو الذى كان بناها ايام ولايته بها فكشف عن الخبر وجرت امور يطول شرحها ثم ان صاحب قبرس اتاه خبر الغراب المذكور وما فعله بميناتي الاسكندرية مع ما اطعم وسقي ولم يخرج له احد حاربه ولا قاتله طمع فيها وكان فعل الغراب المذكور كما قال الشاعر

امور تضحك السفهاء منها ويختشي من عواقبها اللبيب

فاستجاش القبرسي الجيوش من ارض الرومانية بعد ظفره بمدينة انطاكية بر

التركية وتوجه بتلك الجيوش النصرانية نحو الاسكندرية والطلب علي قدر عزة المطلوب فبذل الروح والمال فى ركوب المشقة لينال وصل المحبوب كما قال الشاعر

وكل نفيس القدر مطلبه وعر ومن طلب الحسناء لم يغنه المهر

ثم انه هان عليه سفك دمه بعد الجروح فبذل مهجته والروح ولسان حاله يقول

تريدين ادراك المعالي رخيصة ولابد دون الشهد من ابر النحل

فلما تحمل الملعون المشقة وابذل فى كلاب النصاري النفقة ولم يجد بالاسكندرية احدا من جيش الحلقة دق فيها بجيشه دقة اكل اللحم وشرب المرقة كما سيأتى ذكر مفصلا ان شاء الله تعالى فافتخر الملعون بظفره بالاسكندرية بين ملوك النصرانية ..... ، السبب الرابع ان غرابا هجم على الجزيرة المقابلة لرشيد واخذ منها من المسلمين خمسة وعشرين نفرا ما بين رجال ونساء وصادف احد الفرنج بتلك الجزيرة بقرة يتبعها عجلها فضرب الفرنجى العجل بسيفه قطعه نصفين فلما رأت البقرة ما فعل الملعون بابنها هجمت عليه نطحته بقرونها القته بالارض سريعا وصارت تتابع عليه النطح حتي قتلته فاخذت بثأر ولدها وكان خلفها خصا من القصب فيه ثمانية من الرعاة ليس بايديهم غير عصيهم فقصدتهم جماعة من الفرنج ليستأسروهم فصارت البقرة تهجم فيهم وتنفرهم عنهم الي ان ادركتهم المسلمون بالاسلحة القاطعة والجواشن المانعة فهربت الفرنج عند رؤيتهم لهم فكانت تلك البقرة سبب سلامة الذين كانوا بالخص المذكور ثم ان المسلمين لما رأوا الفرنجى مطروحا بالارض قتيلا متضمخا بدمائه وولد البقرة مقسوما شطرين سألوهم عنها فاخبروهم بفعل البقرة بالافرنجى حين قتله ولدها وسلامتهم من الاسر بسببها فاخذ صاحب البقرة سلب الفرنجى وقال غنيمة يقرتى فقد جاء فى الحديث من قتل قتيلا فله سلبه والبقرة ملكي وقد جاء فى الخبر انت ومالك لسيدك .....

ثم ان الفرنجي قتيل البقرة صلب ورجم وصارت الناس تأتي لتنظره ويقولون هذا قتيل البقرة هكذا أخبرني بذلك رجل من أهل رشيد والله اعلم ثم ان القبرسي لما بلغه خبر الغراب وما فعله بجزيرة رشيد من أحد الاسباني منهم فطمع في الاسكندرية وعمل عليها حتى ظفر بها . والسبب الخامس ان ثلاثة اغربة اقوامينة بوقير وقت الفجر سابع عشرين شعبان سنة اربع وستين وسبعماية أخذوا من قصور البساتين ستة وستين نفرا من المسلمين ما بين رجال ونساء وصبيان واثاث ومضوا بهم الى ساحل صيدا بالشام فقدتهم منهم المسلمون ورجعوا الجميع الى اوطانهم ببوقير ، وبوقير أرض بها بساتين وقصور وهي شرقي ظاهر الاسكندرية على ساحل البحر الملح . فذكرت الاسباني ان عدة الفرنج اصحاب الغربان الثلاثة ماية نفس من جملة سيوفهم سيوف حسب مطلية بالقزدير الابيض يوهموا بها لعدم قدرتهم على ثمن سيوف يشترونها لكن لما اخذوا فداء المسلمين المأسورين بصيدا صار لهم بذلك السيوف والسلاح فالله تعالى يخذلهم ويعذبهم ويخذيهم فلو كان المسلمين حين أتوا الى بوقير وبها جماعة معهم سلاح اخذهم سرعة فلما بلغ القبرسي فعلهم ذلك ببوقير وما يجرد احد من اهلها في وجوههم سيف واحد طمع في الاسكندرية . والسبب السادس انه أتي الى جهة بوقير ست غربان جروا في البحر ليلا جريا مقصودا لعدم جاسوسهم الذي يكون في البر يقد لهم نارا في الليل يقصدون جهتها فسمعت الصيادون الذين يصيدون السمك في الليل داخل البحر في قواربهم حس حذف تلك الغربان فحسدوا حذرهم منهم فصت الغربان بجريهم المقصود الى جهة رشيد وكان جريهم اولا بقلاعهم وجذفهم لبوقير فلما افسد بهم الجاري الى رشيد نزل جماعة كبيرة من الفرنج من ثلاثة اغربة اليها فغلبت بهم المسلمون فاقوهم بكثرة عددهم وعددهم فهربت الفرنج منهم طالبين غربا من الثلاثة فسبقهم احمد الجداوي المعروف بالباشق الى

اسقالة (١) الغراب رماها البحر فترامت الفرنج البحر ليعوموا الي الغراب عند تبريز الغراب بمن بقي فيه داخل البحر خوفا من سهام المسلمين فلما القوا الفرنج ارواحهم في البحر من شدة الخوف من المسلمين الذين اتوهم يبرعون غرقوا كلهم لثقل الحديد الذى عليهم منهم العوم الى الغراب المذكور فقذفهم البحر بعد ايام الي الساحل فكان عدتهم ثمانون رجلا فاخذوا اهل رشيد سلبهم واحرقوهم بالنار، السبب السابع مافعلته عوام المسلمين بالاسكندرية بقتلهم بها للفرنج البنادقة فلما هم القبرسي بالعمارة علي الاسكندرية اعانته البنادقة بسبب قتل المسلمين لاصحابهم بالاسكندرية وسأذكر فيما يرد من هذا الكتاب سبب قتل المسلمين لهم في موضعة المستحق له ان شاء الله تعالي ، ثم ان القبرسي لما قصد غزو الاسكندرية استنجد بملوك النصاري باشارة الباب لهم في ذلك ، والباب هو بتفخيم الباء الاولي وهو الذي تنقاد النصاري به ويزعمون انه من ذرية الحواريين وعنده الصليب الاكبر الذي اذا ابرزه للغزو لم يبق ملك من ملوك النصاري الا اتي بجيشه نحوه فاذا خرج الباب بصليبه ذلك ارتجت له بلاد النصرانية فيظفر بتلك الجيوش القوية علي مملكة من خالفه من ملوك الرومانية فلما اعانت ملوك النصاري صاحب قبرس بالمال والرجال والغربان باشارة الباب لهم فى ذلك تعمرت المراكب له على ما قيل برودس لانها دار صناعة الفرنج فكانت عمارتها على ما قيل في اربع سنين وذلك في مدة طوافة على الملوك فلما رجع الى قبرس وجدهم تهيأوا له لجمع ما جاء به على ما عمر له وتوجه الي الاسكندرية ، وكانت الاخبار تأتي الي الاسكندرية بان العمارة عند القبرسي فاستهم نائب السلطان بها وهو الامير زين الدين خالد فرفع سورها القصير من جهة الباب الاخضر وصار يجتهد في العمرة ويرسل بطلب من الامير يلبغا الخلسكي (٢) مقدم الجيوش المنصورة الاعانة علي

(١) انظر القسم الافرنجى
(٢) دايما كذا فى الاصل بدل الخاصكي

عمارة السور ويعلمه بخبر عمارة القبرسي للمراكب الحربية فيقول ان القبرسي اقل واذل من ان يأتي الي الاسكندرية وما علم يلبغا ان شرارة احرقت الجلمود وبعوضة اهلكت النمرود ودولة قتلت فيلا وبرعوثا اسهر ملكا جليلا.....، ثم ان القبرسي اتي بعمارته الى الاسكندرية فظفر بها وتمكن جيشه منها من بعد صلاة الجمعة الى آخر يوم السبت ثانية نهب وسبى وحرق وخرب بعد ان قتل من المسلمين كثيرا فطوبي للمقتولين من المسلمين فى يوم الجمعة فانه يوم مبارك ..... وكان الخبر يأتي الى القبرسي ان الاسكندرية بها طوايف قاعات يبيتون بساحل مينتها لم يعرفوا الحرب ولا باشروه ابدا بل يخرجون متزينون بالملبوس قد تطيبوا من فوق العمايم التى علي الروس يتحظرون فى مشيتهم ويتطيبون بطيبهم فتزرغت لهم النسوان ويصير كل واحد منهم بزينته فرحان ومعهم الاسلحة الثقال لكن ليس تحتها الموقف الحرب رجال مع كل واحد منهم سيف تقلده مجوهر النصل جيده مزخرف بالذهب كجمرة نار تلتهب ومع ذلك حامله جبان يفزع من نعيق الغربان كما قال الشاعر

وما السيف الامستعار لزينة اذا لم يكن امضى من السيف حامله

والحرب لها ارباب كالسباع كما قيل فى المثل من لم يكن اسدا افترسته الضباع واكلته حيا ومن لم يكن كالعقرب طمع فيه كل كلب اجرب كما قال الشاعر

ومن لم يكن عقربا يتقى مشت بين اثوابه العقرب

فلما علم القبرسي حالهم طمع فيهم وقال اذا لم يكن فى الاسكندرية من لم يحسن الطعن ولا الضرب فالظفر بها سهل لاصعب واذا لم يكن بها رجال حرب مقيمة فالسلاح مع الجبنا زيادة فى الغنيمة والمنايا فى السيوف كوامن لا يهيجها الا الشجاع قال الشاعر

ان المنايا في السيوف كوامن حتى يهيجها فتى هيـــاج
ومهيج يغشى المضيق بسـيفه حتى يكون بسـيفه الافـراج

فأتي القبرسي الملعون برجاله المجندة المعروفين بالخيانة معهم اسلحتهم المعتدة القاطعة المستعدة فرأوا الرجال علي الساحل ليس عليهم ملبوس حرب طايل ورأوا فرسانهم عريان قد تخللوا بالكسيان فرمتهم الفرنج بالسهم فطاروا كطيران الحمام فظفر الملعون بها ورتع في جوانبها وجرى ما سيأتي ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى فسبحان الملك العظيم الذي اذا اراد امرا قدم اسبابه .....

١. كوصب